وفي الصحيح من حديث ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث
التجلي يوم القيمة ثم يؤتى بجهنم تعرض كانها السراب فيقال لليهود ما كنتم تعبدون
فيقولون كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما
تريدون قالوا نريد ان تسقينا فيقال اشربوا فيتساقطون في جهنم ثم يقال
للنصارى ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال كذبتم
لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما تريدون فيقولون نريد ان تسقينا فيقال اشربوا
فيتساقطون وذكر الحديث وهذه حال كل صاحب باطل فانه تحويه باطله
احوج ما كان اليه فان الباطل لا حقيقة له وهو كاسمه باطل فاذا كان الاعتقاد
غير مطابق ولا حق كان متعلقه باطلا وكذلك اذا كانت غاية العمل باطلة
كالعمل لغير الله وعلى غير امره بطل العمل ببطلان غايته وتصور عامله ببطلانه
وبحصول ضد ما كان يؤمله فلم يذهب عليه عمله واعتقاده لا له ولا عليه بل
صار معذبا بفوات نفعه والحصول ضد النفع فلهذا قال تعالى ووجد الله عنده
فوفاه حسابه والله سريع الحساب فهذا مثل الضال الذي يحسب انه على هدى
فصل النوع الثاني اصحاب مثل الظلمات المتراكمة وهم الذين عرفوا
الحق والهدى واثروا عليه ظلمات الباطل والضلال فتراكمت عليهم ظلمة الطبع
وظلمة النفوس وظلمة الجهل حيث لم يعملوا بعلمهم فصاروا جاهلين وظلمة
اتباع الغي والهوى فالهم كحال من دان في بحر لجي لا ساحل له وقد غشيه موج
ومن فوقه ذلك الموج موج اخر ومن فوقه سحاب مظلم فهو في ظلمة البحر وظلمة
الموج وظلمة السحاب وهذا نظير ما هو فيه من الظلمات التي لم يخرجه الله منها
الى نور الايمان وهذان المثلان بالسراب الذي يظنه ماء الحياة وهو الماء الظلماء
المضاد للنور بطرفي المثلين اللذين ضربهما للمنافقين والمؤمنين وهما المثل
المائي والمثل الناري وجعل حظ المؤمنين منهما الحياة والاشراق وحظ
المنافقين منهما الظلمة المضادة للنور والموت المضاد للحياة فكذلك الكفار

في هذين المثلين حظهم من الماء السراب الذي يغر الناظر ولا حقيقة له وحظهم
الظلمات المتراكمة وهذا يجوز ان يكون المراد به حال كل طائفة من طوائف الكفار
وانهم عدموا ماء الحياة والاضاءة باعراضهم عن الوحي فيكون المثلان صنفين
لموصوف واحد ويجوز ان يكون المراد به تنويع احوال الكفار وان اصحاب المثل
الاول هم الذين علموا على غير علم ولا بصيرة بل على جهل وحسن ظن بالاسلاف
وانوا يحسبون انهم يحسنون صنعا واصحاب المثل الثاني هم الذين استحبوا
الضلالة على الهدى واثروا الباطل على الحق وعموا عنه بعد ان ابصروه
وحدوه بعد ان عرفوه فهذا حال المغضوب عليهم والاول حال الضالين وحال
الطائفتين مخالف لحال المنعم عليهم المذكورين في قوله الله نور السموات
والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الى قوله ليجزيهم الله احسن ما
عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب فتضمنت الايات اوصاف
الفرق الثلاثة المنعم عليهم وهم اهل النور والضالون وهم اصحاب السراب
والمغضوب عليهم وهم اهل الظلمات المتراكمة والله اعلم فالمثل الاول من
المثلين لاصحاب العمل الباطل الذي لا ينفع والمثل الثاني لاصحاب العلوم والنظر
والابحاث التي لا تنفع فاولئك اصحاب العمل الباطل وهؤلاء اصحاب العلم الذي
لا ينفع والاعتقادات الباطلة وهما ضاد الهدى ودين الحق ولهذا اشتمال
الفريق الثاني في تلاطم امواج الشكوك والشبهات والعلوم الفاسدة في قلوبهم
بتلاطم امواج البحر فيه وانها امواج متراكمة من فوقها سحاب مظلم وهكذا
امواج الشكوك والشبه في قلوبهم المظلمة التي قد تراكمت عليها سحب الغي
والهوى والباطل فليتدبر اللبيب احوال الفريقين وليطابق بينهما وبين المثلين
يعرف عظمة القرآن وجلالته وانه تنزيل من حكيم حميد واخبر سبحانه ان
الموجب لذلك انه لم يجعل لهم نورا بل تركهم على الظلمة التي خلقوا فيها فلم
يخرجهم منها الى النور فانه سبحانه ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)